العربية والفرنسية

العلاقة بين اللغة العربية والفرنسية، بل قل الثقافة العربية والثقافة الفرنسية – تمتد لسنين طويلة مضت، قد تكون هذه العلاقة بدأت من خلال الوجود العربى فى الأندلس، فقد كانت الأندلس آنذاك منارة العلم فى أوربا لينهلوا من علومها.

بعد ذلك تأتى الحروب الصليبية فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر، والتى كانت اتصالا مباشرا بين أوربا والحضارة العربية، والتى بدأت منها حركة الترجمة من العربية إلى اللغات الأوربية ومنها الفرنسية بالطبع، حيث ساهمت هذه الترجمة ونقل علوم العرب فى نهضة أوربا الحديثة .

ثم يأتى الاتصال المباشر بين الثقافة العربية والثقافة الفرنسية من خلال الحملة الفرنسية على مصر والشام 1789 – 1801 ، حيث كانت تحمل هذه الحملة مع المدافع وطلقات الرصاص المطبعة والعلماء والباحثين، بما كان لهم من أثر ثقافى بالغ ظهر بعد ذلك فى توجيه معظم البعثات العلمية إلى فرنسا لنقل علومها ومعارفها، ورجع هؤلاء المبعوثون – مثل رفاعة الطهطاوى – ليكونوا مدرسة للترجمة ، وكان معظم الأعمال التى ترجموها بالطبع من اللغة الفرنسية.

وقد ساهم أيضا احتلال فرنسا للبنان وسوريا، ونفوذها الثقافى فى مصر، مع تميز هذه البلاد بدورها الثقافى المؤثر فى محيطها العربى فى توثيق العلاقة بين الثقافة العربية والثقافة الفرنسية وإذا ألقينا نظرة سريعة على قواميس اللغة الفرنسية نجدها تؤكد على أن العرب هم أصل الحضارة والمدنية فى أوربا، وقواميس الكلمات الفرنسية ذات الأصل الأجنبى زاخرة بالكلمات العربية التى تغطى جميع المجالات .

وتحتل العربية الترتيب الخامس بين اللغات التى أثرت فى اللغة الفرنسية، متفوقة على الألمانية والأسبانية والبرتغالية. حيث يحتوى المعجم الفرنسى على

420 كلمة ذات أصل عربى، بالإضافة إلى المشتقات من هذه الكلمات، وإذا استثنينا الكلمات التى لم تعد مستخدمة فى العصر الحديث يكون عدد الكلمات العربية 214 كلمة، بالإضافة إلى المشتقات منها.

والكلمات العربية فى القاموس الفرنسى تغطى جميع مجالات الحياة، وإن كان أغلبها ذا طابع علمى. فانتقال هذه الألفاظ قد تم فى عصر كان العرب فيه هم مصدرو الحضارة والعلوم إلى العالم كله.

من هذه الكلمات على سبيل المثال (Alcool) مأخوذة من كلمة كحل، وكلمة ((Assasin والتى تعنى (قاتل) وهى مأخوذة من كلمة (حشاشين) تلك الفرقة المتطفرقة التى ظهرت على يد حسن الصباح فى أواخر الدولة العباسية.

ولعل من أهم المجالات العلمية التى صدرتها الكلمات العربية هى الكيمياء بل إن تسمية الكيمياء بالفرنسية (Chimie) هى فى الأساس تسمية عربية.

وعن المصطلحات الكيميائية الأخرى فحدث ولا حرج، فمثلاً كلمة (Elixir) من (الإكسير) كان الكيميائيون العرب القدامى يطلقونها على حجر الفلاسفة وهى مادة شبه سحرية كان يعتقد أنها تملك القدرة على تحويل المعادن إلى ذهب!

أما القاموس العربى لعلم الأحياء فقد صدَّر هو الآخر العديد من المصطلحات للغة الفرنسية، ويتضح ذلك إذا تأملنا فى أسماء بعض الحيوانات بالفرنسية فـ (Gazelle) من غزال، و(Girafe) من زرافة.. و (Gerboise) من اليربوع.

النباتات لم تغب تسميتها العربية على اللغة الفرنسية، فـ (Henné) هى الحناء و (Coton) من القطن، و(Tamarin) من تمر هندى، ومن النباتات الأخرى (Séné) من (السنى) وهو نبات ملين.

أما علم الرياضة العربى فلا أحد ينكر تأثيره على العلوم الرياضية فى أوربا كلها حتى يومنا هذا. فإلى العرب يرجع إدخال نظام الصفر فى نظام الترقيم ومن كلمة صفر أخذت (Zéro) و(Chiffre) يعنى رقم . كما أن الأرقام المستخدمة

الآن فى اللغة الفرنسية، وهى أرقام عربية وذلك فى مقابل الأرقام اليونانية التى كانت مستعملة من قبل مثل I – V – X – D – M.

والغريب هو أن تعترف القواميس الفرنسية بأن الرموز الرقمية المستعملة فى أوربا وأكثرية بلدان العالم هى أرقام عربية فى حين يعتقد الكثيرون من العرب أنها أرقام غربية إفرنجية.

وإذا ابتعدنا قليلاً عن العلوم، نجد أن الفرنسية قد أخذت من الكلمات المستخدمة فى الحياة العامة فى العربية ما بين الثقافة والفن وغيرها من المجالات. فكلمة (Guitare) مأخوذة من قيثارة. و(Luth) من العود و(Minaret) من منارة.

وعلى هذا المنوال نجد (Jupe) بمعنى تنورة فأصلها العربى (جبة) وتعنى لباساً داخلياً طويلاً من الصوف. ومثل (Sirop) من شراب و(Sorbet) من شربات ولهما نفس المعنى فى الفرنسية، وكلمة (Hasard) بمعنى صدفة والمأخوذة من كلمة الزهر.

وكان من الطبيعى أن تأخذ الفرنسية من العربية المسميات التى كانت تطلق على حكام العرب، مثل:

وزير	Visir	خليفة	Calife	أمير	Emir
سلطان	Sultan	شريف	Chérif		

إن وجود هذه الكلمات بما لها من معانٍ ودلالات يشهد على مرحلة زاهية من مراحل الفكر العربى كانت فيها اللغة العربية هى لغة العلم والحضارة بل واللغة العالمية الأولى.